تاريخ الاستلام: 2016/01/11- تاريخ التحكيم: 2016/09/22 -تاريخ النشر2016/12/30

الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة 1954-1962.

د. محمد السعيد قاصري

جامعة محمد بوضياف – المسيلة(الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

يندرج هذا المقال ضمن التاريخ الاجتماعي، وهو يعالج مؤقع الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة 1954-1962، ويكمن الهدف الأساسي من هذا المقال في محاولة تدارك النقص الملحوظ في الدراسات التاريخية الاجتماعية- الأدبية، خاصة فيما تعلق منها بدور الشعر الشعبي في كتابة وتدوين تاريخ الثورة، الذي يندرج في نظرنا ضمن المصادر الأساسية للتاريخ، كونه يتضمن معطيات وحقائق تاريخية قد لا نجد لها ذكرا في الوثائق والمصادر التاريخية الأخرى، وعليه فالبحث في هذا المجال المعرفي بات من الضروري جدا للمساهمة في كتابة وتدوين تاريخ الثورة بمنطقة المسيلة من جهة، وفي المحافظة على هذا الموروث الشعبي الشفوي من الزوال من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية:الثورة الجزائرية، الشعر الشعبي، منطقة المسيلة، الذاكرة الشعبية، التراث الشفوي.

Résumé

Cet article est inclus dans l'histoire sociale, ll traite la position de la révolution algérienne dans la poésie populaire, dans la région de M'sila 1962-1954. L'objectife principal de cet article est la tentative de remédier à l'insuffisance constatée dans les études historiques sociales-littéraires, notamment quand il s'agit du rôle de la poésie populaire quant à la rédaction et la collecte de l'histoire de la révolution qui est inclus, à notre avis, parmi les références principales de l'histoire, tant qu'il comporte des informations est des vérités historiques, peut-être non pas mentionnées dans les autres documents et références historiques, c'est pourquoi, la recherche dans cet espace de savoir est devenue très impérative pour contribuer à rédiger et collectionner l'histoire de la révolution dans la région de M'sila particulièrement et à conserver cet héritage populaire de disparition généralement.

مقدمة

لا يزال البحث في تاريخ الثورة الجزائرية يحتاج إلى تضافر المزيد من الجهود والأبحاث، ولعلّه من بين الجوانب الرّئيسية التي تحتاج في نظرنا إلى لفت انتباه الباحثين والمهتمين بتاريخ الثورة الجزائرية، الشعر الشعبي الذي يُعد مصدرا أساسيا لا يمكننا الاستغناء عنه، نظرا لما تضمّنه من معطيات وحقائق تاريخية لم تعالجها بعض الوثائق والمصادر التاريخية المتوفرة حاليا، بينما وردت تفاصيلها في الشعر الشعبي الذي لا تزال تحتفظ به الذاكرة الشفوية عبر ربوع هذا الوطن.

وبخصوص دور الشعر الشعبي في الثورة الجزائرية يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله في موسوعته الثقافية في معرض حديثه عن الشعر الفصيح والشعر الشعبي: «وبقدر ما كان الشعر الفصيح قد احتضن الثورة باعتبارها حدثا وطنيا هاما له مدلوله التاريخي والمستقبلي...بقدر ما كان الشعر الشعبي قد نظر إلى الثورة على أنها حدث كبير للتحرر من ربقة الاستعمار البغيض ومن قمع القوانين الاستثنائية الجائرة...وإذا كانت نصوص الشعر الفصيح مُدوّنة في أغلبها فإن نصوص الشعر الشعبي لم تُدوّن في أغلبها، ولذلك حفظ الفصيح وضاع الشعبي لأنه اعتمد على الرواية الشّفوية والذّاكرة، وهذه تذهب مع أصحابها ولا تُحفظ في أوراقها». (سعد الله، أ، 2007: 546-547).

وإيمانا منا بالسّعي وراء تحقيق هذه الغاية المنشودة، والقيام بتدوين ما أمكن تدوينه من الذاكرة الشفوية والمحافظة عليها من الزوال، جاء مقالنا ليصب في هذا السياق ويُكْمل النّقص الملحوظ والحاصل في الدراسات الأكاديمية بمنطقة المسيلة حول هذا الموضوع مقارنة بحجم الثورة، وتماشيا مع اهتمام بعض الجهات الرسمية في الآونة الأخيرة بالثورة في الشعر الشعبي، وبهذا الخصوص نذكر: ملتقى الشعر والثورة في ولاية الجلفة المنعقد يومي 18-19 مارس 2005، الملتقى الوطني المنعقد بجامعة مولود معمري بتيزي وزو خلال شهر ماي 2013 حول الأناشيد الوطنية ودورها التعبوي خلال الثورة، الملتقى الوطني حول الثورة في القصيدة الشعبية المنعقد بدار الثقافة بسطيف يومي 29-30 أكتوبر2014، الملتقى الوطني الثاني بجامعة الحاج لخضر بباتنة حول الثورة في الشعر الشعبي المنعقد خلال شهر أفريل 2015...الخ.

ولتشجيع عملية البحث في هذا اللون الأدبي-التاريخي بالمسيلة على غرار بعض الدراسات الأكاديمية التي تمت في هذا الشأن: مثل دراسة الأستاذ العربي دحو التي خصصها لمنطقة الأوراس، والموسومة بـ ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية في الولاية التاريخية الأولى بالعربية والأمازيغية، والبحث المشترك لكل من الباحثين جلول بن يلس وأمقران الحفناوي الموسوم بالمقاومة الجزائرية في الشعر الملحون (الشعبي)، وبحث الأستاذ أحمد زغب من وادي سوف حول الشعر الشعبي الجزائري من الإصلاح إلى الثورة...الخ، هذا ولقد بُذلت جهودا كبيرة في تدوين وكتابة تاريخ الثورة من خلال الشعر الشعبي.

وبناء عليه فإننا سنحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على مَوْقِع الثورة في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة، وإبراز دوره الرئيسي في التّعبئة الجهادية وبث الحماس الثوري في نفوس المواطنين، وفي نفس الوقت تخليد مآثرها. ونعني بالشعر الشعبي في هذه الدراسة الشعر الذي ظهر خلال الثورة، وتغنّى به القاصي والداني، شِعر ساهم في تأليفه وقوله شُهود العيان الذين اكتووا بنار الثورة وعاشوا ويلاتها لحظة بلحظة، سواء كانوا مجاهدين أو مدنيين فدائيين أو مُسبلين، مُواطنين عاديين أو سُجناء في معتقلات العدو الفرنسي، لأن هؤلاء اعتمدوا بالدّرجة الأولى على عُنصري الملاحظة والمعاناة، حيث شاهدوا الجيش الفرنسي ومُعداتِه العسكرية بمختلف أنواعها، وعايشوا ممارساته القمعية والإجرامية التي سلّطها عليهم، سواء في حياتهم اليومية أو في مختلف مراكز التعذيب والمعتقلات والمحتشدات، وفي نفس الوقت شاهدوا وعايشوا جنود جيش التحرير واحتكوا بهم، وتأثروا بهم، ولهذا فالشعر الذي ظهر خلال الثورة هو شعر حي نابع من أصوله التاريخية.

والإشكال المطروح في هذا المقال يكمن في محاولة الإجابة عن جملة من التساؤلات: ما هو مَوْقِعْ الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة؟ وكيف يمكننا توظيف الشعر الشعبي في تدوين وكتابة تاريخ الثورة بالمنطقة؟ ما هي المناهج المتبعة في انجاز مثل هذه الدراسات التاريخية-الأدبية؟ وإلى أي مدى يُمكننا اعتماد الشعر الشعبي كمصدر من مصادر التاريخ والتأريخ للثورة الجزائرية بهذه المنطقة؟.

بناء على ما تم جمعه من مادة علمية في ظروف متعددة وفي أوقات مختلفة، خاصة في ظل اهتمامنا بموضوع تطور الثورة بمنطقة المسيلة 1954-1962في إطار المشاريع الوطنية للبحث (PNR)، حيث كان بعض الرّواة أثناء جمعنا للرواية الشفوية يستشهدون لنا بين الحين والآخر بالشعر الشعبي، وهو ما لفت انتباهنا إلى ضرورة تخصيص دراسة قائمة بذاتها لموضوع الثورة في الشعر الشعبي، آملين أن تكون هذه الدراسة بمثابة البوابة التي سَيلج من خلالها جُمهور الباحثين والمهتمين بهذا الميدان، للمساهمة في كتابة وتدوين تاريخ الثورة، بالاعتماد على الشعر الشعبي الذي لا تزال تحتفظ به الذاكرة الشعبية في منطقة المسيلة، التي تتميز بموقعها الجيواستراتيجي وبرقعتها الجغرافية الشاسعة، التي شكّلت حلقة وصل ومنطقة عبور رئيسية بين مختلف الولايات التاريخية خلال الثورة.

منهج الدراسة (كيفية توظيف الشعر الشعبي في تدوين وكتابة تاريخ الثورة):

اعتمدنا في انجازنا لهذا المقال على الجمع بين الزيارات الميدانية التي قادتنا إلى العديد من المهتمين بالشعر الشعبي بغض النظر عن موْقِعهم في الثورة التحريرية (مجاهدين، فدائيين، مُسبّلين...الخ)، إلى جانب بعض المواطنين الذين عايشوا أحداث الثورة ولا تزال تحتفظ ذاكرتهم بمجموعة من القصائد الشعرية التي رصدت أحداث الثورة ووقائعها، ويتعلق الأمر هنا بزيارتنا لبعض المناطق التي شملت كل من مقرة، برهوم، عين الخضراء، أولاد دراج، المعاضيد، بوسعادة، سيدي عيسى...الخ، لمراعاة الامتداد الجغرافي وتباين المستوى الثقافي للرواة، كما اعتمدنا أيضا على مجموعة من المصادر والمراجع التي تطرق بعضها إلى

جوانب من الشعر الشعبي أثناء الثورة بمنطقة المسيلة، وتوصلنا في الأخير إلى جمع رصيد هائل من الشعر الشعبي.

بناء على ما سبق ذكره من تجربتنا المتواضعة في جمع الرواية الشفوية أثناء انجازنا لموضوع تطور الثورة الجزائرية في منطقة المسيلة، الذي أشرنا إليه سابقا، يمكننا القول: إن الشعر الشعبي الذي لا يزال محفوظ في الذاكرة الشعبية الشفوية، يكاد يخضع لنفس الخطوات التي يتم بها جمع الرواية الشفوية، ومن بين أهم هذه الخطوات التي قمنا بها في هذا الشأن:

-تحديد موضوع البحث، كأن يكون يدور حول التعذيب الفرنسي في الشعر الشعبي، صفات وخصال جيش التحرير، وصف جيش العدو الفرنسي، الحركى والخونة، مظاهر الفرح بالانتصار على العدو، الحياة داخل المعتقلات والسجون، دور المرأة في الثورة...الخ، فالشعر الشعبي كما سبق وأن ذكرنا تطرق في معظمه إلى مثل هذه المواضيع، وخصّها بقصائد شعرية رائعة، وعليه فتحديد موضوع البحث في البداية ضروري جدا، وهذا لا يمنع بطبيعة الحال من وجود بعض القصائد الشعرية التي تطرقت في آن واحد إلى عدة مواضيع.

-بعد تحديد الموضوع، انتقلنا مباشرة إلى عملية البحث عن الشعراء الرّواة الذين لا يزالون على قيد الحياة سواء شاركوا في الثورة كمجاهدين أو عايشوا أحداثها كمواطنين بُسطاء لحظة بلحظة، وكتبوا قصائد شعرية عنها، أو يحفظون قصائد قيلت في الثورة، فأدَّوْها إلينا كما سَمِعوها، فهم يصبحون في هذه الحالة مصادر للأصول الشعرية المندثرة، كما يذكر ابن خلدون في مقدمته عن أخبار الأمم السابقة. (ابن خلدون، ع، 2002، 16).

-بعد تحديد هذه العينات تأتي الخطوة الموالية وهي ربط الاتصال بهم، وضبط برنامج لإجراء المقابلات معهم، وقبل مباشرة هذه الخطوة يجب تبليغ المعني (أو المعنيين) قبل موعد المقابلة بموضوعها الرئيسي حتى يُهيئ نفسه ويستعد أكثر، كما يمكن للراوي (الرواة) إحضار بعض المرافقين له وخاصة الذين يحفظون عنه الشعر للاستعانة بهم في حالة النِّسيان، ففي هذه النقطة مثلا وقفنا على حالة السيدة واضح زينب التي استعانت بابنتها واضح زكية أثناء مقابلتنا معها، فكلما كانت تنسى بعض الأبيات الشعرية تذكرها ابنتها بذلك.

-أثناء موعد المقابلة يقوم الباحث في البداية بتشكيل بطاقة معلوماتية عن الراوي وعن مرافقيه إذا وُجدوا بطبيعة الحال، ثم يفتح معه موضوع المقابلة الذي توجد بحوزته قصائد من الشعر الشعبي حوله، وقد يترك الباحث للراوي أحيانا الطريقة التي تناسبه في عرض قصائده الشعرية إما بالتسجيل المباشر عن طريق الوسائل التكنولوجية المتاحة وهذا أحسن لتنشيط الذاكرة، وبهذا الخصوص تذكر الباحثة ليلى الصباغ: «ومن المحبذ في الوقت الحاضر أن يسجل الباحث المعلومات التي يحصل عليها من المصدر الحي على

شريط صوتي [سمعي بصري]، وفي الوقت ذاته يدونها كتابة» (الصباغ، ل، 2008: 244)، أو يقوم الباحث بتدوين القصائد الشعرية بيتا بيتا في حالة امتناع الراوي عن التّسجيل المباشر.

-بعد الانتهاء من المقابلة يحرص الباحث على تدوين تاريخ ومكان إجرائها، ومدتها الزمنية، كما يحرص أيضا على أن يبقى في اتصال مباشر مع الراوي، وهذا للعودة إليه أثناء عملية تفريغ القصائد الشعرية وتدوينها، حيث تُصادفه بعض العبارات والألفاظ والأسماء الغامضة، فيطلب من الرواي في هذه الحالة توضيحها له، وبعد عملية التفريغ والتدوين، يتصل الباحث مرة أخرى بالرواي لعرض القصائد الشعرية المدوّنة عليه عرضا سليما.

-قبل توظيف ما تم جمعه من قصائد شعرية والاستشهاد بها في كتابة تاريخ الثورة يحرص الباحث على أن تكون لديه قصائد شعرية أخرى ثانية أو ثالثة قيلت في نفس الحادثة من طرف شعراء أو رواة آخرون، وهذا لمقارنة مضمون هذه القصائد ببعضها البعض اعتمادا على المنهج العلمي المقارن للوقوف على مواطن الاختلاف، خاصة فيما تعلق بالزمان والمكان والعدد وطبيعة الأسلحة المستخدمة ونتائج المعركة أو الحادثة موضوع القصيدة، فبهذا الخصوص مثلا وقفنا على قصيدتين تُخلد معركة الميمونة الأولى للشاعر رحمون المداني والثانية للشاعر مداني موسى، حيث سجّلنا اختلافا كبيرا في تخليدهما للمعركة خاصة فيما تعلق بوقت المعركة، عدد الشهداء، الخسائر البشرية للجيش الفرنسي، الأسلحة المستخدمة..الخ، كما يجب على الباحث في هذه النقطة بالذات مقارنة مضمون القصيدة بما توفر لديه من معطيات تاريخية في مصادر أخرى كالوثائق، والمذكرات الشخصية، والمصادر المكتوبة إن وجدت بطبيعة الحال.

-وفي الأخير ينبغي الإشارة إلى أنه ليس كل القصائد الشعرية ينبغي توظيفها في كتابة تاريخ الثورة، فليس كل ما يُعرف يقال، كما يقول المثل الشعبي، فالباحث عليه أن يتجنب القصائد الشعرية التي تحمل في طياتها بذور الفتنة والصراع القبلي والأسري خاصة فيما تعلق منها بالهجاء وفضح ممارسات ومواقف بعض الخونة خلال الثورة، إذْ وقفنا على قصائد كثيرة ضررها أكثر من نفعها، وفي حالة ما إذا ظفر بها الباحث لا يسارع إلى نشرها قبل معرفة ما ستتركه من وقْع وانعكاسات في المجتمع، وبهذا الخصوص سجّلنا صعوبة كبيرة في تدوين الشعر الشعبي، جراء تهرّب وامتناع كثير من العيّنات في الإفصاح عن ما بحوزتهم من قصائد شعرية، خاصة إذا عرفوا بأنها ستُدوّن وتُنشر في شكل مقالات أو في شكل كتب، وبعض الرواة قدّموا لنا قصائد شعرية وطلبوا منا عدم الإفصاح عن هُويتهم، الأمر الذي صعّب من مهمة انجاز هذا المقال.

أغراض الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة خلال الثورة التحريرية:

من خلال قراءتنا الأولية لهذا الموروث الثقافي وقفنا على مدى ثرائه وتنوعه إلى أغراض شعرية كثيرة جمعت بين المدح والذم، الفخر والهجاء، الفرح والحزن، الجمال والقبح، اللذة والألم...الخ، وعليه فمعالجتنا لهذه الأغراض الشعرية الثورية ستكون على النحو التالي:

1-الشعر الحماسي حول وصول الثورة إلى منطقة المسيلة:

ظهر هذا الغرض الشعري قبيل اندلاع الثورة، واستمر في تغذيتها وتشجيعها خصوصا في السنوات الأولى من عمرها، وفي هذا الشأن وقع اختيارنا على عيِّنة من المجاهدين، ويتعلق الأمر هنا بالمجاهد جوهري الفوضيل -من مواليد 1938 بقرية أولاد تبان التي تقع في السفوح الشمالية لجبل قديل الذي يمثل جزء كبير من سلسلة جبال الحضنة- الذي كان له الفضل الكبير في موافاتنا بقدر لا بأس به من القصائد الشعرية الحماسية التي كان غرضها تعبئة المواطنين وتجنيدهم للالتحاق بالثورة واحتضانها، ومما جاء في روايته: عندما انطلقت الثورة بجبال الأوراس كُنا نسمع بالمجاهدين، ونسمع عنهم روايات وحكايات كثيرة ساهم العدو الفرنسي في ترويجها حيث نعتهم بالفلاقة، المتوحشين، الإرهابيين الذين يزرعون الرعب في أي مكان يصلون إليه، وهكذا بدأت أخبار الثورة والمجاهدين تصل إلينا عن طريق مُعلم القرية الذي كان على دراية تامة بها، ومن ملامح ذلك ترديده لبعض الأبيات الشعرية الحماسية ومحاولته تلقينها لنا، (جوهري، ف، 2011: رواية شفوية)، ومن بين هذا البيت الشعري:

ضَرْبُونَا مَنْصُورْ بْلَا طَيَارَة بْلاَ بَابُورْ بَرْكَةْ رَبي وَالرَسُول نْحِيُوا الحُرية

وعندما سألنا محدِّثنا عن المغزى من هذه الأشعار كان يجيبنا بأبيات شعرية أخرى منها، هذا المقطع الشعري:

ضَرْبُونا نَجْمة وهْلاَل تَفْزَعْ نْسَاء ورْجَال جَبْدُونَا منْ قَاعْ لَبْيَارْ

وفي حقيقة الأمر فإن هذه التعبئة الجهادية -يقول محدثنا- لم نستوعبها؛ ولم نتوقع أيضا خبر اندلاع الثورة عبر كامل ربوع الوطن، وظل معلم القرية يُحفِّزنا على الجهاد ضد العدو الفرنسي، ويُلقننا المزيد من الشعر الحماسي إلى غاية قدوم أول فوج من المجاهدين في خريف سنة 1956، حيث كنا نرعى الأغنام في الجبل؛ وكان هذا الفوج يضم حوالي 25 مجاهدا، فشاع خبرهم في الدشرة: هاهم المجاهدين، وراح كل واحد منا يُقدم تفسيرا مُعينا لما رآه، وعما كان يسمعه عنهم من قبل فاختلط الخيال بالحقيقة، وشيئا فشيئا بدأ وصول بعض قادتهم مثل عمر حيحي من منطقة القبائل، والحاج عبد القادر؛ حيث قاما بعقد أول اجتماع لسكان دشرة أولاد تبان أثناء الليل.

ويواصل محدثنا الذي حضر هذا الاجتماع بأنهم استمعوا لخطبة مُطولة أُلقيت عليهم، ومما جاء فيها: نحن نحارب في الاستعمار، ويجب علينا الإتحاد بوضع اليد في اليد، نحن لا نحارب في بعضنا البعض كما يدّعي العدو، يجب القضاء على القياد وعلى الشّنابط، وعلى الاستعمار أن يخرج من البلاد...ومن يخرج على النظام (أي الثورة) يكون قد ظلم نفسه، وبعد هنيهة راح مُحدثنا يستذكر بعض المقاطع الشعرية التي

لا تزال راسخة في ذهنه، أبيات اتضح لنا فيما بعد أنها من تأليف الشاعر كمال شابو (دحو، ع. (ط1). 2012: 83). ومن بينها:

قُدَاْش نْفَكَرْ في الجزائر عادت حَية ۞ كان دَم الشُّبان أيْقطَرْ مُتْبَزَّع فِي كُل اَنْنِية

آه شُوفُو لِلعكري عَمْبالهَا فِي الطَّبة تَكْرِي ۞ خُـــفْـــنا الحَـــق أنـــقُولُـــوه

تَحْســـب فِي الدُنيـــا كيِ بَكْـــرِي ۞ حَـــقْ الجَـــزائِـــر نـــَدُوه

ثم يواصل حديثه: لقد جذب هذا الشعر الحر التفات الشباب وبدأ السكان في الانضمام إلى المجاهدين، وهكذا بدأت الثورة تنتشر في الأوساط الشعبية؛ واستمر تلقين هؤلاء الشباب الأشعار الحماسية، التي من بينها:

فْرَانْسَـــا الغَدارة تُضْربْ فيـنا بالطّيَـــارة ۞ أَحْنَـــا عْرَبْ ما ناشْ نْصَـــارى

شُوفو شُوفو يا أولاد النّاس اللّي خَانُوا البلاَدْ ۞ كبار الرُؤوس القِيَاد وَزَاْدوهُم القُوميَة

2–الشعر البطولي للتغني بالمجاهدين وشجاعتهم.

قدّم لنا هذا الغرض الشعري صورة حية وصادقة عن جنود جيش التحرير، حيث صوّر لنا شجاعتهم وعزيمتهم القوية في مواجهة العدو الفرنسي، كما صوّر لنا حالة المجاهدين ومعنوياتهم المرتفعة أثناء مغادرتهم لعائلاتهم والتوجه للقاء العدو في أرض المعركة، التي تتوقف نتيجتها إما على النصر أو الشهادة في سبيل الله، وهنا يُقدم لنا الشعر الشعبي صورة الشهيد الحي وما ينتظره في جنات الخلد، وفرحة المجاهدين بالنصر على العدو الكافر، وبهذا الصدد قدمت لنا السيدة زينب واضح –من مواليد 1932 بقرية واضح بمقرة– صورة حية عن حالة المجاهد الحسين الأوراسي، ذلك الفتى الشهيد الذي ظل صامدا في أرض المعركة حتى نفذت ذخيرته، وكبّد العدو الفرنسي خسائر بشرية فادحة، ومما جاء في هذه القصيدة التي وُجّهت لأمه مباركة، وباتت مضربا للشهامة والشجاعة لكل أم شهيد (واضح، زينب. 2012، رواية شفوية):

حَدَّرْ من لجَبلْ لَزْرَقْ ودْخَل في وَسَط الكَفْرة وخْلَف ثَأْر أَعْمَامَهُ

ما تبكيش يا مْبَاركة إلاَ وفْات أيامه

ما تبكيش يا مباركة وهذا ربي أَلّي رَادْ

ما دَخْلْتِيلُو لْعُرُوسْ ومَا خلاَ الأولاد

الحسين الأوراسي اسْتَشْهدْ على الجِهادْ

...

حَدَّر مِن لْجْبَلْ لَزْرَقْ المونِيتِيرْ وَاتاهْ

دْخل في وَسط الكَفْرة وخَلّف ثَارْ باباه

ما تبكيش يا مباركة.

سَرْكَلاتُو فْرانسا حتىَّ أصْحابه رَاحُو

مِنْ لَقْدَرْ وَالشَّجَاعة تْبَقَّى ثَمّه بسْلاَحُه

وفي المقاطع الموالية تنتقل بنا إلى الحديث عن المجاهد سي لخضر والفرحة التي كانت تغمره بجنوده وهو يصول ويجول في منطقة واد المالح، يقتل ويأسر في جنود العدو، ثم تحاول تقديم صورة فرنسا وجنودها عندما قَدِمت إلى جبال بوزقزة تستهزأ بالثوار، ولكنها وجدت رائحة البارود ودوي الرصاص في انتظارها من طرف جنود جيش التحرير، فتحوّل جبروتها وتكبّرها إلى مسخرة وأضحوكة في الذاكرة الشعبية، ومما جاء في هذه المقاطع التي استعانت في سردها علينا بابنتها واضح زكية –من مواليد 1953 بقرية واضح بمقرة– ومما جاء فيها (واضح، زكية، 2012: رواية شفوية):

فِي وَادْ المالحْ سِي لخْضَرْ بِجُنُودِه فارحْ

يَقْتُل وَيذْبح فِي العَساكَر هذا النِّظامْ

فِي وادْ اللُّوحْ قَامِرة تَبْكي وَتْنُوحْ

قَلْبها راهُو مَجْروحْ عبد العزيز كْواها كَية

فِي جْبل بوُزقْزةَ وفْرانْسا طَلَّت تَسْتَهْزأْ

وإلى جانب هذه القصائد التي تمتزج فيها جهات الوطن، وقفنا على قصيدة شعرية وجدناها متناثرة في بعض القصاصات الورقية، حول الشهيد خزاري عثمان –من مواليد 1924، استشهد في سنة 1960– (مديرية المجاهدين، م، 2010: 55) ؛ ومما جاء في هذه القصيدة التي لا تزال مضربا للشهامة والبطولة في الذاكرة الشعبية لسكان مقرة وبلعائبة (خزاري، ع، 1984: 10-11):

أَبْكِي يَا عَائِشة بَنْت سْعِيـــدْ ۞ أَبْكِي عَلى وَلْدَكْ رَاقَدْ كِيفْ الصَّيْد

رَاحتْ لِهْ أُمه غَطْتـــــهُ بْسِلِّيخْ ۞ تَرْبحْ الحُريـــــة وَانْدِيرُولْهَا تَارِيـــخْ

فِيلوُ عُثـــمان لَقْدَرْ فِي ٱلْقَـــدرْ ۞ نَاقل الاشْتِرَاكَاتْ يطْلـــع لَلْجبْل

الفِيلو فِي مَضْرَبْ والبَرنوسْ فِي مَضْربْ ۞ هَذاكْ عثْمـان يْعَـــمْ ويَضْـرُبْ

لاَنْدرُوفير أَلِّي جَاتْ مِثْل عَقْرَبْ الرِّيحْ ۞ أَربعـة مَاتوُ وخمْســـة جْحَارِيـــحْ.

نستشف من هذه القصيدة دور الشهيد عثمان خزاري الذي كان مُكلفا بجمع التبرعات لجيش التحرير ونقل البريد من القرية إلى الثوار بجبال بوطالب عن طريق دراجته الهوائية، وعلى الرغم من طبيعته المدنية

(فدائي) فإنه كان مُسلحا، وفي أثناء طريقه وقع في كمين للجيش الفرنسي، وهنا ترجّل الشهيد وأخرج سلاحه من تحت برنوسه وخاض معركة الشرف والشهادة مع العدو الفرنسي أسفرت عن قتل 04 جنود وجرح 05 آخرين.

وفي ناحية أخرى من نواحي المسيلة وبالذات في منطقة بوسعادة وقفنا على قصيدة للشاعر عبد الغفار عبد الحفيظ –من مواليد 1948 ببوسعادة–، التي قالها في حق المجاهد البطل محمد نوبيات –من مواليد 1936 ببوسعادة– الذي أبلى بلاء حسنا خلال الثورة، وخاض عدة معارك مع العدو الفرنسي كان يخرج منها دائما منتصرا وجراحه تنزف ولكن لم تكتب له الشهادة، وهكذا ظل يقارع العدو بالولاية السادسة من منطقة لأخرى حتى بزوغ فجر الحرية والاستقلال، التي كان ثمنها باهضا، ومما جاء في هذه القصيدة التي تتكون من 28 بيتا (قذيفة، ع، 2011: 117):

الحُرية ما هِيشْ بالسهولة جاتْ ۞ لِلْجنة ما ذا أبْعثْنا مِن وُفودْ
سَقْسينِا رْجال في الثورة عَدَّاتْ ۞ سَقْسينِا ضُباط عَنها والجُنود
مِن بين الضُّباط سَلْناهْ انْوبِيَاتْ ۞ محمد بَطل الفِدا في الحرْب يْطوُد
محمد ما ذاق في الثورة فَجْعَات ۞ وَاتّحداها بِالشِّجاعة فْحَل أُسود
قال اَطْلعْنا لِلْجبْل والنَّفس اَرْضاتْ ۞ يَدْفعنَا كُرْه النَّصارى واليَهُود
وَرَّانَا في فْرِيسْتُو عِدّة ضَرْباتْ ۞ الحَافْظ رِبي وَالأجَلْ فَايتْ مَحْدُودْ
وَاشْ يْجِيكْ لّلي اَمْخَيْطْ بِرْصاصاتْ ۞ لَوْلا حِفْظ الله لاَ عَشىَّ مَفْقوُدْ
وَأبْقىَ ثابِتْ فَالْجَبَلْ بَينَ السَّاداتْ ۞ فِي الولاية السّاته فِيها مَعْدُودْ

3–شعر المعتقلات والسجون:

يُعد شعر المعتقلات والسجون من بين أغراض الشعر الشعبي التي وقفنا عليها خلال هذه الدراسة (زغينة، م. 1990. 30)، وهو يقدم لنا صورة صادقة حول الحياة اليومية للمعتقلين، وما كان يدور من استنطاق وتعذيب وراء الجدران الصامتة والأسلاك الشّائكة والمكهربة التي كانت تحيط بهذه المعتقلات، كما يتطرق أيضا إلى عزيمة وإرادة هؤلاء المعتقلين وقوة إيمانهم بالثورة وعقيدتهم الراسخة التي لم تتزعزع، كما يشير إلى قدرة جبهة التحرير في اختراق أسوار هذه المعتقلات وتسجيل حضورها بقوة بين المعتقلين، وهذا من خلال تأطيرهم وتنظيمهم ومواساتهم، وغرس المبادئ الوطنية والثورية في صفوفهم، وعدم تركهم عرضة للإهمال واللامبالاة.

واذا تطرقنا إلى المعتقلات والسّجون فالمسيلة تُعد من بين المناطق التي عرفت انتشارا واسعا للمعتقلات والسجون ومراكز التعذيب منذ البدايات الأولى للثورة، والبداية كانت بمعتقل الشلال الواقع على بعد 20 جنوب المسيلة، والذي يُعد أول معتقل تم فتحه في الثورة على مستوى مقاطعة الشرق الجزائري في شهر ماي 1955، لكنه لم يُعمر طويلا بسبب العاصفة الهوجاء التي اقتلعته من أساسه ليلة الرابع من

شهر أوت 1955 (سعدي، خ، 2013: 121) ؛ ورغم الظروف التي مرّ بها المعتقلون بعد هذه العاصفة فإنها دُوِّنت في ذاكرتهم وراح كل واحد منهم يُعبر عنها بطريقته الخاصة، ومما جادت به قريحة أحد المعتقلين حول هذه العاصفة التي وصفها بالليلة الليلاء (مقدر، ن، (2010-2011): 47):

وليلة شُؤم يخلع القلب هولها ۞ أتاحت على شلالنا بالعوادي
فلا تسمع الآذان إلا تزمجرا ۞ ولا تنظر العينان غير السواد
وإلا دعاء أرسلته حناجر ۞ تمد به نحوا السماء الأيادي
تُذكرنا والحال حال تخشع ۞ بما أخبر القرآن عن ريح عاد.

وعلى إثر ذلك تم نقل المعتقلين من معتقل الشلال إلى قرية الجرف بسلمان (أولاد دراج حاليا) ، التي تم تحويلها إلى معتقل الجرف، الذي فتح أبوابه بشكل رسمي في 01 اكتوبر 1955، ورغم ظروف الاعتقال القاسية، والحياة اليومية الصعبة داخل هذا المعتقل، فإن هذا لم يمنع المعتقلين من تحدي إدارة المعتقل والتعبير عن تطلعاتهم للحرية والاستقلال، وهذا من خلال كتابة الشعر والجهر به على مرأى ومسمع من الجلادين، وفي هذا الشأن يبرز لنا الشاعر محمد الشبوكي -من مواليد 1916 بمنطقة ثليجان بالشريعة ولاية تبسة- (جريدي، س. 2013: 15)، الذي كان له الفضل الكبير في كتابة كثير من القصائد الشعرية، والتغني بها مع أقرانه طيلة وجوده داخل المعتقل سنة 1956، قصائد خلّدها التاريخ بمعتقل الجرف، وهي ذات دلالات ومعاني متعددة، يمكننا عرض نماذج منها على النحو التالي:

أ-**قصيدة يالها الله ثورة...!** (الشبوكي، م، 1995: 42): هي قصيدة ذات طابع حماسي ساهمت في إثراء الحماس الثوري لدى المعتقلين، كونها كانت تردد بشكل جماعي، في ساحة المعتقل وفي داخل الزنزانات، وكانت كلماتها تدوي في آذان العدو الفرنسي والجلادين لدرجة أنهم كانوا يعاقبون كل من يقوم بترديدها، ولكن كل هذا لم ينفع مع إرادة وعزيمة المعتقلين الذين وحّد بينهم ظلم وجور العدو في المعتقل، ومما جاء فيها:

نحن في الجرف أمة ۞ وحّد الظلم بينها
عمّها جُور دولة ۞ قرّب الله حينها
ضِدّها ثار كلنا ۞ كلنا رام بينها
يا لها الله ثورة ۞ ردّد الدهر لحنها

ب-قصيدة عود رشيد: تعكس لنا هذه القصيدة جانب من الحياة اليومية للمعتقلين، فعلى الرغم من الظلم والجور المسلط عليهم، فإن هذا لم يمنعهم من الترفيه عن النفس ونسيان ألام الغربة والعذاب داخل المعتقل، وفي نفس الوقت تحدي الجلادين من خلال التعبير عن معنوياتهم المرتفعة، من خلال القيام بالعزف على آلة العود التي كان صاحبها يعزف عليها بين الحين والآخر، وهذا ما دفع بالشبوكي إلى

تنظيم قصيدة شعرية في حق صاحب هذه الآلة عنوانها: **عود رشيد** –وهو أحد الشبان المعتقلين بالجرف، كان يجيد العزف على آلة العود–، ومما جاء فيها:

نقرات العُود من كَف رشيد ۞ تَبعث النّشوة في القلب العميد

قُلت والأوتار في أنمله ۞ تتشاكى جفوة الدهر العنيد

أيها الفنان زِدني إنني ۞ لِأنين العود ذو شوق شديد

وعندما قرأ رشيد هذه الأبيات الشعرية، أُعجب بها، ولذلك طلب من الشبوكي أن يقول في عوده (آلته) قصيدة شعرية على لسان صاحب العود (أي رشيد)، فما كان من الشبوكي إلاّ أن قال هذه الأبيات، في حقه (الشبوكي، م، 1995: 201):

يا عود ردد أغاريدي وألحاني ۞ فالشوق برّح بي والبين أشجاني

وفي فؤادي حنين لا يفارقني ۞ إلى معاهد أحبابي وخـــلاني

ضمد جروح سهام الوجد في كبدي ۞ يا خل ظل مدى الأيام يرعاني

فإن تك المزعجات السود تعصف بي ۞ فأنت يا عود بالسلوان تلقاني

وبعد قراءة هذه القصيدة من طرق رشيد حوّلها إلى أغنية يُسَلِّي بها أقرانه في المعتقل، فيجتمعون حول عُوده ليطربهم ويهز نفوسهم شوقا إلى الخلان والأحباب، ويحاول أن يُضمِّد بها جراح سهام الوجد والضيق والضيم، والمزعجات السود من لسعات العقارب والبرد القارس، وطرق الجلادين لأبواب الزنازين ليلا لإزعاج المعتقلين والتشويش عليهم إمعانا في إذلالهم وقهرهم.

ج–قصيدة جيش التحرير الوطني (الشبوكي، م، 1995: 22): رغم ظروف الاعتقال وأساليب التعذيب الوحشية المسلطة على المعتقلين، فإن هذا لم يمنعهم من الافتخار بجيش التحرير الذي أدى اليمين وصمّم على الكفاح، وقهر جيش العدو وكبّده المزيد من الخسائر، فراح الشاعر يُمجِّد في خصال هذا الجيش الذي تزيّن صدره بالإيمان وكفّه برشاش يحصد رصاصه الأعداء في ساحات الوغى، وأنه لن يلين ولن ينثني عُوده حتى تتحرر الجزائر وترتفع رايتها، فباتت هذه القصيدة بمثابة صرخة مدوية وكلماتها طعنات خنجر في صدور المشرفين على المعتقل، ولذلك تم نقل الشبوكي من الجرف إلى معتقل "بول كازيل" بعين وسارة، ومما جاء فيها:

أدَّى اليمِين وصمَّما وإلى الكِفاح تقدما

لله جـــيش ثائـــر رام التحرر بالـــدما

في صدره الأيمان يـــز خر مثل يمّ قد طما

وبكفِّه الرّشاش يحصـ د بالرصاص عدا الحمى

لا ينثني حتى يـــرى قيد الهوان تحـــطما

ويرى البلاد تحررت ويرى اللواء وقد سما

وفي قصيدة شعبية أخرى وقفنا على مدى تجذّر الروح النّضالية والاستشهادية في الحوار الذي دار بين الأم وابنها المجاهد عندما توجه إلى جبهة القتال، وهي قصيدة خلّدتها الذاكرة الشعبية في منطقة المسيلة الشرقية، بحكم انتمائها للولاية التاريخية الأولى الأوراس (مزوز، م، 2014: 64)، ومما جاء فيها:

اسْمحيلِي لُميمة ، سْمحيلِي فِي جْهادي
اسْماح اسْماح، لْبَابَا وْلِيدِي
مَرسولْ من عِند العَالي.

وتقول في موضع آخر، عن مدى إقدام جيش التحرير وعدم مبالاته بالعدو وسلاحه الفتاك (مزوز، م، 2014: 81):

لِيشَار اقْدّم لِلْدّار
والسْلْسْلَة تُوزَنْ قُنطَار
إذا قَدّْمْنا شَعْلتْ النَّار
وإذا هْرَبْنَا يبْقَى عْلِينَا العَارْ

4-شعر المآسي:

عرفت الثورة الجزائرية بمنطقة المسيلة كثير من الأحداث المؤلمة والموجعة التي تسببت في سقوط عدد كبير من الضحايا، في معارك وهمية وهامشية ليس بين جيش التحرير وجيش العدو الفرنسي، ولكن بين إخوة أشقاء، ويتعلق الأمر هنا بالمؤامرة الكبرى التي عرفتها منطقة المسيلة خلال الثورة من طرف الحركة المصالية المناوئة للثورة، حيث ساهمت في استنزاف القدرات العسكرية والمادية لجيش التحرير وجرّته إلى الكثير من المعارك الهامشية، وفي هذا الشأن وقعت مواجهات كثيرة ومعارك عديدة كان الرابح فيها العدو الفرنسي، ومن بين الأحداث المؤلمة في المنطقة حادثة ملوزة (قليل، ع. ج2، 1991. 48-49) التي سجّلها الشعر الشعبي، وهذا ما وقفنا عليه من خلال قصيدة الشاعر الجزائري عبد السلام الحبيب -من مواليد 1918 بدمشق، ابن عائلة جزائرية مهاجرة تنحدر من معسكر- الموسومة بـ: يا ملوزة (بيطام، م، 1998: 360):

يا مْلُوزة
مأْساتُك طَافتْ أُرجُوزة
مْلوزة
ستَضلّين لنَا أُرْجُوزة
في مِحْرابِ الحِقْد الظَّامي
في هَيكَل ذِكْرانا الدّامي
من وَهران إلى قسنْطينة

بِقُرانا في كل مَدينة
وبِأْوراس عَرين الثّوار
كالرَّعد يُدمْدمُ كالإعصَار
يجْتثُ جُذُور الاسْتِعمَار

يصور لنا الشاعر هذه الحادثة بأنها مأساة وطنية، ارتكبها الجيش الفرنسي بدم بارد في حق المواطنين العزل، بسبب الحقد الأعمى على الشعب الذي احتضن الثورة بِقُراه ومُدنه، وأنّ ما وقع في ملوزة لا يُنسى ولن يُنسى أبدا، وصداها الدامي وجُرحها عمّ أرجاء الوطن من وهران إلى قسنطينة، مرورا بالأوراس عرين الثوار، الذي سيظل يُدمدم ويعصف بالظالمين كالإعصار حتى يجتث جذور الاستعمار.

5-شعر الهجاء:

لم تخلو الذاكرة الشعبية بمنطقة المسيلة من الاحتفاظ بهذا الغرض من الشعر الشعبي، الذي كان مجال الحديث عنه واسعا ومتعددا، حيث نجده حاضرا بقوة في هجاء العدو الفرنسي، قيادة وجيشا، عتادا وأسلحة، وأفعال وممارسات وحشية، وفي هجاء الحركى والقومية والخونة والمتآمرين ضد جيش وجبهة التحرير، وسنكتفي هنا بالإشارة إلى قصيدة الشاعر جغيدل التي ألّفها في هجاء خائن الثورة والوطن محمد بلونيس-من مواليد 1912 ببرج منايل-(بن حمود، ب، 2012: 248-251) كنموذج لهذا الغرض الشعري، ومما جاء فيها (قذيفة، ع، 2007: 83-84):

يا فَـرْخ الحمامَ بالقَصْد نَوصِّيكْ ۞ تُوصل بَلُّونيسْ تُنظر لِي حَالو
قُلُّو يا خَبيثْ ربي يْبهْدل بيك ۞ والدّنيا وأيـــــامْ فيِـــهَا مَا زالُوا
أنت والخبثاء لِي بين يْديِـــكْ ۞ لِي حبُّوكْ الحُب كُلو بْكْمَالُو
تَاكُل مَالْ الشَّعْب هَذا عَارْ عْليِكْ ۞ والجَيشْ النَّبيلْ رَاكْ عَلى بَالُو
أرْواح الشُّهدا تْبات تْخاصُم فيكْ ۞ نَاكُر ونكِيرْ عْليِك يْســـالُو
لا كوُست وجْماعْتُو يَلْعبُو بِيكْ ۞ يا عَدُو الإسلام تَربح مَا قالُو

6-شعر المدح:

يكاد يحتل هذا الغرض الشعري نصيب الأسد بين مختلف أغراض الشعر الشعبي التي أُلِّفت حول الثورة في منطقة المسيلة، كيف لا والمقام كان يقتضي ذلك، فالمدح لم تكن تخلو منه أي معركة أو كمين أو عملية فدائية نفّذها جيش التحرير ضد العدو، كما لا يكاد يخلو منه أي مظهر طبيعي من جبال وهضاب وأنهار ووديان، وحتى الشّجر والحجر، أو من جنود جيش التحرير عسكريين أو مدنيين، فدائيين أو مُسبّلين، ، كما شمل غرض المدح مختلف أنواع الطيور والحيوانات التي كانت حاضرة في الثورة كطائر الحمام، البوم، الغراب، اللقلق،...الخ. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على المخيلة الواسعة والكبيرة للشاعر الشعبي الذي لم يترك شاردة وواردة إلاّ وقام بمدحها ليس لذاتها، وإنما لعلاقتها المباشرة

بالثورة، والدور الذي لعبته، ونظرا لتشعب هذا الغرض الشعري اقتصرت على تقديم النماذج التالية من باب الأمثلة فقط:

أ–جبل بوطالب:

شكّلت جبال الحضنة التي تحيط بالمسيلة من الناحية الشمالية (جبل بوطالب، جبل قديل، جبال المعاضيد، جبال أولاد حناش، جبال الدريعات...الخ) وجبال الأطلس الصحراوي التي تحيط بالمسيلة من الناحية الجنوبية (جبل بوكحيل، جبل مساعد، جبل محارقة...الخ) معقلا رئيسيا لجنود جيش التحرير، وملجئا آمنا يلجئون إليه ويحتمون به، كما أن معظم المعارك العسكرية دارت رحاها بهذه الجبال، وعليه فالجبال احتلت مكانة مُتميِّزة في الشعر الشعبي، فتغنى بها الشعراء، وركّزوا على دورها في الثورة، ومدحوا أشجارها كشجرة الصّنوبر والكروش والعرعار، وقممها المرتفعة والشامخة، وحصانتها ومناعتها الطبيعية التي حالت دون وصول الجيش الفرنسي إليها، ومن بين هذه الجبال على سبيل المثال لا الحصر جبل بوطالب، (المعروف بالشّنْقورة وبالشَّلْخة)، الذي يُشرف تقريبا على المسيلة كلها، وتظهر لنا من خلال قِمّته قِمم ورؤوس الجبال السابقة الذكر وكأنها نُصِّبت لتحرس منطقة المسيلة وتتبادل رسائل الثورة المشَفَّرة بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب. ومن بين ما احتفظت به الذاكرة الشعبية حول هذا الجبل ودوره في الثورة التحريرية، ما جاء في المقاطع التالية: (دحو، ع. 2012. (ط2): 21):

يا جْبـــــــــل بُوطَـــالـــب ۞ أَنْـــــت عَـــــالِي واَبْعـــــــــيدْ
أنَـــت عـــــــــالي وابْعـــيدْ ۞ سَكْنُوك الثُّوارْ فِي الظَّلْمـــــة والجَلِيـــدْ
يا جبل بوطالب أنت عَالي واصْحِيحْ ۞ أنْـــــت عَـــــالي وأصْـــحِيـــــــحْ
سَكْـــــــــــنوُكْ الثّـــــــُوار ۞ فِي الظَّـــلْمـــــــة والرِّيـــــــــحْ.

ب–جبل الزعفران، جبل مساعد، جبل محارقة، جبل بوكحيل: شملت هذه القصيدة مجموعة من الجبال التي تقع إلى الناحية الجنوبية من المسيلة، ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي، وهي تقف شامخة ومقابلة لجبال الحضنة التي تقع شمال المسيلة، ومما جاء فيها بهذا الخصوص (عباسي، ع، 2015: 374):

جْبَلْ الزَّعْفْرَانْ غَضْبَانْ امْكَـــشّْرْ۞ نَارُو مَا تَهْدَاشْ دُخَّـــانْ او تُعْرَارْ
ومْسَاعَدْ مَعْلُومْ للْجَيْش امْحَضَّرْ ۞ وَمْعَارَكْ فِي امْحَارْقَة جَابَتْ لَفْخـــــارْ
وَسْبُوعَة فِي بُوكْحَيْلْ عْلِيهُمْ سَرّْ ۞ أبْطَالْ الجِهَـــــادْ خَلاَّفِينْ النَّـــــارْ
سَقْسِي بُودَيْرَيْن حَلْفَايَة وَحْجَرْ ۞ ولْيَالِي وَيَّامْ تَحْـــكِي لَكْ ما صَـــارْ
دَبَّابَاتْ امْرَصّْيـــــة قُوَّة تُدْحُـــــرْ ۞ خَيْط امْسَلْسَلْ جَايْ بالقُوَّة كَرَّكَـــارْ
والنَّسّاَفَـــــة يَوْمْـهَا هَوْلْ اِيَحيّرْ ۞ احْصَدْنَا جَيْشْ النّْصَارَى حَصْدْ اغْمَارْ

جَيْشْ الرُّومِي عَادْ هَارَبْ يَتْوَخَّر ۞ منْ ضَرْبَاتْ ابْطـــالنَا ذَاقُـــــو لَمْرار

7–تخليد معارك وبطولات جيش التحرير:

خلّد الشعر الشعبي كثير من المعارك التي دارت رحاها بين جيش التحرير وجيش العدو الفرنسي، تخليدا تاريخيا رائعا، وهذا من خلال المعطيات التاريخية التي تضمنتها كل قصيدة، كمكان وزمان وقوع المعركة، وقائدها وعدد جنود جيش التحرير، كما يتطرق من جهة أخرى إلى جيش العدو الفرنسي من حيث العدة والعدد والأسلحة المستخدمة في المعركة مثل الطائرات والدبابات والعربات المصفَّحة، هذا إلى جانب رصد القصيدة الشعرية لعدد الشهداء في المعركة وخسائر العدو، **ومن** بين هذه المعارك على سبيل المثال:

أ–معركة بوخدي: (جرت وقائعها في 18 ماي 1956، ببني يلمان)، و يخلد الشعر الشعبي هذه المعركة، تخليدا مُتميّزا، وهذا ما نستشفه من خلال قصيدة الشاعر اليلماني التي جاء في بعض أبياتها (بن تريعة، ح، 2010: 108):

فِي لَيْلة الإِثْنِين صَارتْ غَبّارَة ۞ تَحْت الكَاف أَلِّي مْنيل زّيد احْـداه
زِيدْ القرن وْزِيدْ عَشرة لِلْعشرَة ۞ وْزِيدْ الخَمسة رَاهْ بِالتَّاريخ مْعـــاه
فِي بوخْدي مَا يْصير وما يَطره ۞ الدُّخان يْثـــور والغَبـّار مْعـــاه
ضْرَب الكَانُو في السّماء والطّيارة ۞ وَضْرُبه كَاسُح ما يَخلَّفْش مِن جَاه
يا رِياسْ فَرانْسا رَاكُم عُـــرَّة ۞ وْهاَذ القُوة غَير خْسَارة عَنْكمْ لاَه
أُبَّابِير تْجِيبْ عسْكر بِالكُثرَة ۞ وْجبَل كْحيل مْعمْر زيَّان اَسْمـــاهْ

ب–معركة الميمونة: وقعت يوم8 أفريل 1957م الموافق لـ08 رمضان 1376هـ (عباسي، ع، 2015: 217)، وقد خلّد وقائعها الشاعر المجاهد رحمون المدني –من مواليد 1908 بقرية فرفار ببسكرة–، بقصيدة شعرية رائعة نقتطف منها هذه الأبيات (عباسي، ع، 2015: 367–368):

قَبْل طْلُوع الشَّمس جَاتْ قُوة الكُفّار ۞ خمس عَشْرة آلاف مِن المجْرِمين
يُضـــــربُو بمينْ ويِسَـــــارْ بْقـــوة. ۞ حتى من الطّيرات ستّة وثْلاثـــين
عَسْـــكر راسَة خَابْجة الجِنْـــس الحَقَّارْ ۞ فِيـــهم بَعْـــض اعربْ مِن الخَائِنِينْ
نْهَار الْمَيْمُونة راه عْقّب فِي اللِّي صَارْ ۞ كُنْت حَاضرْ فيه نُنظر بالأَعْيـــان
طَلْقُوا عْلينا اَرْصَاصْهُم مِثل الأَمْـــطار ۞ هَاوُن وْ رَشَاشْ عَسْكرْ زَادْمِينْ
لَمَّا سَمْـــعُوا ضَرْبنَا اعْقَلْهُـــم جَـــار ۞ واَحْكَمْهُم الخَوْف مِنَا مَرْهُوبـــينْ

....

اَبْداتْ المعْركـــــة مِـــن اَوَل نْهَـــارْ ۞ مَاتَت رَبْعمِيـــة بِغَيْر اَلْمَجْرُوحـــينْ
ثمْنية طَائِرَاتْ سَقْـــــطُوا مَحْرُوقـــين ۞ هذَا اَللِّي مَفْهُـــوم عِندَ اَلْمُجـــرِمِين

نَحْن خمْسة جْنوُد اسْتَشْهدوُا حَدّتْ الاَعْمار ۞ وَعَدّهُم رَبِي فِي الجَنَّـــــــة حَيــيِن

ويُخلِّدْ المجاهد طويري موسى–من مواليد 1939 بمطقة بوملال ببني سرور–من جهته هذه المعركة في قصيدة عنوانها: "لَوْ تَنْطَقْ وَأنَا نْسَالَكْ يَا جَامدْ" تتكون من 23 بيتا، فبعد أن يقدم لقصيدته في ذكر تاريخ المنطقة العريق، ينتقل إلى ذكر بعض الجبال الشامخة شموخ الثورة، كجبل بوطالب، جبل مْحارقة، جبل بوكحيل، جبل مْساعد، جبل قسوم، ومن بين أبيات هذه القصيدة (عباسي، ع، 2015: 386-387):

لو تنطَقْ واناَ نْسالَكْ يا جَامَــدْ ۞ ونْسَقْسيكْ على الرْويني كَيْفَ كانْ

معركــة رمْضــان فيها يَسْتَشْهَدْ ۞ وفي أعْلى راسْ الجْبَلْ يَذّنْ فَرْحَــانْ

سَالْ مهيري كانْ في القَمْرَة يُوجَدْ ۞ مَتْكَلّفْ مَسْؤولْ عَنْ ذَوْكْ الشُجْعَانْ

وهْزَايَمْ جيشْ العَدُو قدَّاهْ اتْعَــــدْ ۞ كَتْبَتْهَا صُحُوفْ منْ بعض الأوْطـانْ

أكثر مَنْ ستّمْيات جُثّة تَتْمَرْمَد ۞ كانْ سْقَطْ نَقيبْهُمْ شاوْ الميْــــدانْ

مُجَاهَــــدْ قَيّاسْ في النَّقِيبْ يْشَدْ ۞ وَهْزَمْ جَيْش الروْمْ في ذَاكْ الزَّمــــانْ

والطيَّارة كِي تْكُب وتَتْقعَّــــدْ ۞ محْرُوقَــــة قَصْديرْها موْجُــــود الانْ

رَجْعَتْ ذَاهَبْ رِيحْها كِي تَتْشَلْبَطْ ۞ مَثْلْ الهَيْشَرْ شَاعْلا فيها النِّيــــرَانْ

دور الشعر الشعبي في كتابة تاريخ الثورة: (الشعر مصدر للتأريخ والتاريخ).

مما سبق ذكره يتضح لنا بما فيه الكفاية دور الشعر الشعبي في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، ليس بمنطقة المسيلة فحسب وإنما عبر كامل ربوع الوطن، فالشعر الشعبي يمكن إدراجه تارة ضمن المصادر الأساسية في كتابة تاريخ الثورة، في حالة عدم وجود أي وثائق تاريخية أو مصادر أخرى تؤرخ للحادثة التاريخية، وتارة أخرى يمكننا إدراجه ضمن المصادر الثانوية، وهذا حسب توظيفنا له في مجال البحث، وحسب ندرة أو وجود مصادر أساسية أخرى خارج مجال الشعر الشعبي، كالوثائق أو الروايات الشفوية أو المذكرات أو المصادر المكتوبة.

وفي هذه النقطة بالذات يذكر الباحث عبد القادر خليفي، في معرض حديثه عن دور الشعر الشعبي في الثورة بصفة عامة: «وقد استغل مفجّروا الثورة التحريرية 1954-1962 هذا الفن الأدبي الشفوي، فراحوا يوقظون الجماهير ويعبئونها من أجل اليوم الموعود، وبذلك أدت فنون القول الشعبية وفي مقدمتها القصيدة دورا رائدا في مجال الاستعداد للثورة التحريرية، وتوحيد الشعب تحت قيادة جبهة التحرير الوطني» (خليفي، ع، 2010: 291).

وتثمّن الأستاذة الباحثة أمال لواتي هذا الطرح في معرض حديثها عن دور الشعر بصفة عامة في الكتابة التاريخية: «يصبح التداخل بين الشعري والتاريخي مشروعا لأن النص الشعري يُترجم عن وعي رسالي يحققه الشاعر الواعي بالتاريخ المؤيد بخصوصيات حضارية مما تجعل المؤرخ لا يستغني عن الشعر باعتباره

روح التاريخ، حيث لا يقرأ تاريخ الجزائر بمعزل عن هذه الخصوصية التاريخية وإن كانت غاية الشاعر الجزائري ليس سرد مجموعة من الوقائع التاريخية...واستطاع الشاعر الجزائري في كل المراحل أن يعايش منظومة الواقع وأن يسجل حضوره كطرف مشارك في الزمن، ولعل حضوره هذا يساوي أو يفوق حضور بعض السياسيين والمؤرخين أو المثقفين الذين لم يستطيعوا مواكبة خصوصيات حركة التاريخ الجزائري». (لواتي، آ، 2013: 228-229)

وعليه فانه لا يمكننا الاستغناء عن الشعر الشعبي في كتابة وتدوين تاريخ الثورة، كيف لا والشعر قد دخل في الكتابة التاريخية منذ القرون الأولى للتدوين التاريخي، حسب ما ذهبت إليه الدكتورة ليلى الصباغ: «لا لعرض الحوادث التاريخية وإنما لطرح أقوال بعض الشعراء في معركة مثلا، أو في شخصية ما، مديحا، أو هجاء، أو في غير ذلك من الأمور، إلاّ أنه منذ القرن 3هـ/ 9م بدأت تظهر التواريخ الشعرية...ومن أشهر تلك التواريخ القصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد التي يستعرض فيها تاريخ حمير في اليمن وأرجوزة ابن المعتز في مدح الخليفة المعتمد وأرجوزة محمد الباعوني الدمشقي تحفة الظرفاء في تواريخ الملوك والخلفاء» (الصباغ، ل، 2008، : 76-77).

خاتمة: من خلال ما سبق ذكره من عناصر، ومن قصائد شعرية جمعت بين مختلف أغراض الشعر الشعبي والثوري بمنطقة المسيلة، نكون قد خلصنا إلى جملة من النتائج والمعطيات حول هذا الموضوع، يمكن حصرها في النقاط التالية:

- البحث في مجال الشعر الشعبي بمختلف ألوانه لا يزال موضوعا بكرا في منطقة الحضنة عموما وفي منطقة المسيلة خصوصا، سواء تعلق الأمر بالدراسات الأكاديمية أو الدراسات الهاوية، فهي تكاد تكون نادرة إن لم نقل منعدمة تماما.
- غزارة المادة الخبرية التي عالجت مثل هذا النوع من الشعر، خصوصا ما تعلق منها بالشعر الذي لا تزال تحتفظ به الذاكرة الشعبية الشفوية فهناك كنوز قيمّة وقصائد شعبية تدور كلها حول الثورة لا تزال طي النسيان، وإذا لم يتم استغلالها وتدوينها فهي في طريقها إلى الزوال والضياع، وضياعها معناه ضياع جزء كبير من تاريخنا وهويتنا.
- نقص الدراسات الأكاديمية حول موضوع الثورة في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة، (قمنا بهذا الخصوص بمحاولة التنسيق مع بعض الأساتذة الباحثين في مجال الأدب العربي بجامعة المسيلة، حيث اتصلنا بالدكتور عباس بن يحي رئيس مخبر الشعرية الجزائرية، الدكتور بلاعدة العمري، الدكتور عمار بن لقريشي، الأستاذ لخضر ديلمي (أحالنا بدوره على الدكتور رحمون بوزيد) لمساعدتنا وتوجيهنا نحو إن كانت هناك دراسات أكاديمية تمت بخصوص الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة، فتبين لي أن هذا الموضوع بكر ويحتاج فعلا إلى البحث والدراسة.

- وما كُتب منها وأطّلعنا عليه فهو خارج المنطقة، ولهذا فإننا ندعو من جهتنا الباحثين والمهتمين بهذا النوع من الأبحاث إلى الخوض في مثل هذه الدراسات التاريخية-الأدبية التي تعتمد بالدرجة الأولى على الشعر الشعبي، وهذا لتثمين الأبحاث والدراسات ذات الطابع السياسي والعسكري والدبلوماسي للثورة، وهي دراسات كثيرة جدا (عمارة، ع. 2013: 158-230) مقارنة بالدراسات التاريخية الأدبية والشعبية.
- قابلية المجتمع المسيلي عموما، ومجتمع الريف خصوصا، في مساعدة الباحثين على انجاز مثل هذه الأبحاث، وخاصة فيما تعلق بالثورة الجزائرية التي وجدناها تحتل مكانة مُتميّزة جدا في ذاكرة من التقينا معهم وتحدثنا إليهم حول هذا الموضوع، فهم على استعداد تام لتدوين ما تحتفظ به ذاكرتهم من أشعار حول الثورة بالمنطقة.
- تعدد هائل لمختلف أغراض الشعر الشعبي الثوري بمنطقة المسيلة، وهذا يعكس لنا تعدد الثراء الثقافي وتنوع المستوى الفكري لسكان المنطقة.
- الدور الإيجابي والفعّال للشعر الشعبي بمختلف أغراضه في مساعدة الباحثين على كتابة تاريخ الثورة الجزائرية بمنطقة المسيلة؛ فلا يكاد يخلو أي غرض شعري من حقيقة تاريخية معينة، لا نجدها بشكل واضح وجلي في بعض المصادر الأخرى.
- قوة الذاكرة الشعبية وقدرتها على الاحتفاظ بقصائد شعرية رائعة حول الثورة التحريرية والحركة الوطنية؛ والبعض من هذه القصائد وجدناه يعود حتى للقرن التاسع عشر كالتغني بأمجاد المقاومات الشعبية التي عرفتها المنطقة كثورة محمد بوخنتاش مع مطلع شهر مارس سنة 1860، حيث أُلِّفت قصيدة شعبية راقية حولها تحت عنوان: يا راعي الملجوم (Féraud, Ch.(1985) 114-118) ، وثورة بن البكاي سنة 1849 (طيبي، م، 2005: 40-41) التي أُلفت أشعارا كثيرة حولها..الخ.
- إمكانية البحث في هذا المجال الحيوي الخصب وتأليف مُدونات وقواميس للشعر الشعبي خلال فترة الاستعمار التي دامت 132 سنة، ولتثمين هذه النقطة نرى ضرورة عقد لقاءات علمية على المستوى المحلي حول موقع الثورة في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة وتدوينه بشكل رسمي وأكاديمي، وفي هذا الصدد يذكر أبو القاسم سعد الله: "أما ثورة نوفمبر فقد فجّرت الطاقات الكامنة وشحذت مواهب الشعراء، ولو جمع الشعر الشعبي الذي قيل فيها لملأ ربما دواوين" (سعد الله، أ، 2007، ج8: 349) ، فنجده مثلا عندما كتب عن معركة غوط شيكه التي جرت وقائعها بوادي سوف في شهر أوت 1955 يستشهد بقصيدة من الشعر الشعبي للشاعر العصامي رحومة العربي بن مبروك، التي قام بتسجيلها بواسطة شريط مسجل في 13 فيفري 1982 بقرية الجديدة بوادي سوف (سعد الله ، 2009، ج3: 150-152) .

- الثورة الجزائرية تحتل مكانة مُعتبرة، وموقِعا مُتميّزا في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة، حيث لا تكاد تخلو كل قرية أو دشرة إن لم نقل كل بيت من البيوت من الشعر الشعبي الذي قيل حول الثورة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة وقيمة الثورة في الذاكرة الشعبية الجماعية أو الفردية، كما أنه ومن خلال معالجتنا لهذا الموضوع وقفنا على كثير من قصائد الشعر الشعبي التي قيلت في الثورة بعد الاستقلال، وهو ما يحتاج في نظرنا إلى دراسة هذا الجانب المهم من الموروث الشعبي، وتشجيع الباحثين على المضي قدما لجمعه ورصده وتدوينه حتى يستفيد منه المجتمع، ونقف من خلاله على موقع الثورة عند جيل الاستقلال.

بيبلوغرافيا البحث:

المصادر:

–ابن خلدون، عبد الرحمان. (1422هـ/2002م). مقدمة العلامة ابن خلدون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

–مديرية المجاهدين، المسيلة. (2010). السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية لولاية المسيلة 1954–1962. المسيلة: الأمانة الولائية لمنظمة المجاهدين.

–مزوز، مبارك. (2014). حقائق وشهادات على الثورة الجزائرية. باتنة: مطبعة عمار قرفي.

–قليل، عمار. (1412هـ/ 1991م). ملحمة الجزائر الجديدة. (ج2. ط1). قسنطينة: دار البعث.

–الشبوكي، محمد. (1995). ديوان الشيخ الشبوكي. (المجموعة 1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.

–Feraud ,(Ch) :(1985), les BEN-DJELLAB, SULTANS DE TOUGOURT. NOTES HISTORIQUES sur la province de Constantine. REVUE AFRICAINNE. volume 30, ANNEE 1886. ALGER, OFFICE DU Publications UNIVERSITAIRES.

المراجع:

–بيطام، مصطفى. (1998). الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954–1962 دراسة موضوعية فنية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

–بن تريعة، الحاج. (2010). بني يلمان أباء وأحفاد..أعلام وأمجاد وثائق ومستندات. (ط1). الجزائر: دار الوسيط للطباعة والنشر.

–جريدي، سمير. (1434هـ/2013م). محمد الشبوكي المجاهد الشاعر. (ط1). الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.

–دحو، العربي. (2012). ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية في الولاية التاريخية الأولى بالعربية والأمازيغية، (ط2). قسنطينة: دار الألمعية.

–دحو، العربي. (2012). ديوان شعراء شعبيين شهداء ومجاهدين عن الثورة التحريرية. (ط1). قسنطينة: دار الألمعية.

–طيبي، مصطفى. (2005). القائد سيدي أحمد بن البكاي وثورته المنسية. عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر.

–سعد الله، أبو القاسم. (2009). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (ج3). الجزائر: عالم المعرفة.

–سعد الله، أبو القاسم. (2007). تاريخ جزائر الثقافي 1954–1962، ج10. (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

-سعدي، خميسي. (1434هـ/ 2013م). معتقل الجرف بالمسيلة أثناء الثورة التحريرية 1954-1962. (ط1). الجزائر: دار الأكاديمية.

-عمارة، علاوة وآخرون. (1434هـ/ 2013م). نصف قرن من البحث العلمي بالجامعة الجزائرية 1962-2012. قسنطينة: منشورات كلية الأداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

-عباسي، عبد الحميد. (1436هـ/ 2015م). منطقة بن سرور جهاد متصل من الحركة الوطنية إلى ثورة التحرير. (ط1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

-الصباغ، ليلى. (1429هـ/ 2008م). دراسة في منهجية البحث التاريخي. (ط13). دمشق: منشورات جامعة دمشق مطبعة الروضة.

-قذيفة، عبد الكريم. (1432هـ/2011م). محمد نوبيات سيرة رجل..وحكاية ثورة. الجزائر: دار الوسيط.

-قذيفة، عبد الكريم. (1427هـ/ 2007م). جبل مساعد بطولات شعب..ومآثر ثورة، (ط1). الجزائر: دار المتون.

-خليفي، عبد القادر. (2010). محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830-1962. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

-الدوريات:

-لواتي، آمال. (1434هـ شعبان/ 2013م ماي). الحدث التاريخي في الشعر الجزائري المعاصر. مجلة الآداب والحضارة الإسلامية. (ع15). ص227-ص255.

-خزاري، عثمان. (1984). الشهيد البطل خزاري عثمان. الشروق. (ع3). مقرة: مطبوعات متوسطة مقرة الجديدة ابن رشد. ص10-ص11.

-الرسائل الجامعية:

-زغينة، محمد. (غير منشورة). شعر السجون والمعتقلات في الجزائر 1954-1962، رسالة ماجستير. نوقشت 1990، جامعة باتنة.

-مقدر، نور الدين. (غير منشورة). المعتقلات ومراكز التعذيب بالمسيلة خلال ثورة التحرير الجزائرية (1954-1962). رسالة ماجستير. نوقشت 2011، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

-المقابلات والروايات الشفوية:

-جوهري، الفوضيل. الشعر الشعبي أثناء الثورة. رواية شفوية، أجريت بمنزله بقصر الأبطال بعين ولمان، سطيف، يوم 27 ديسمبر 2011.

-واضح، زكية: الشعر الشعبي أثناء الثورة. رواية شفوية، أجريت بمنزلها الكائن بقرية أولاد أحمد بمقرة. يوم الأحد 23 ديسمبر 2012. من الساعة 12.00 إلى الساعة 13.00.

-واضح، زينب. الشعر الشعبي أثناء الثورة. رواية شفوية، أجريت بمنزلها الكائن بقرية أولاد أحمد بمقرة. يوم الأحد 23 ديسمبر 2012. من الساعة 13.00 إلى 14.00.